ناهد جعفر

شرخ في جدار الزمن

في سنة ١٤٩٢م سقطت غرناطة، آخر معاقل الحضارة العربية الإسلامية في إسبانيا، وبدأت في هذا التاريخ مرحلةٌ شهدت أحداثاً مصيرية تركت أثرها في سكان تلك المدينة الذين بات يُطلق عليهم اسم "الموريسكيين"[١] تمييزاً لهم من المسيحيين، وافتتحت عهداً لم تعرف البشرية وحشية أكثر منه ولا دموية.

لن أسبر هذا الموضوع تاريخياً، ولن أتطرق إلى مسبباته، فالمؤلفات التي تناولته وشرحت أحداثه وذكرت المعارك التي أدت إليه، كثيرة، بل سأحاول الإضاءة في هذه العجالة على ما تكنّف الناس من صعوبات حاولوا التغلب عليها مرة بالحيلة، وأُخرى بالهجرة والرحيل عن البلد، إمّا نفياً، وإمّا بقرار ذاتي استباقاً للاضطهاد الذي كانوا يرونه قادماً، وتارة بالوشاية، وطوراً بالجهر والتصريح كوسيلة للراحة من العذاب الذي كانوا يرزحون تحته.

بعد السقوط سقطت الاتفاقية التي كان آخر ملوك غرناطة (أبو عبد الله محمد الصغير ابن الأحمر) قد وقّعها مع الملكَين فرناندو الخامس وإيزابيلا، ملكَي أراغون وقشتالة، والتي تضمن الحياة الكريمة للغرناطيين، وتحفظ لهم أموالهم وحياتهم وعاداتهم وتقاليدهم وحريتهم في التنقل والسفر والعودة متى يشاؤوا، فضلاً عن حماية عباداتهم وأماكنهم المقدسة، وبات الناس يختبرون عيشاً ما كانوا اعتادوه في أثناء الخلافة العربية الإسلامية الأندلسية التي تُعتبر من أبهى فترات الحضارة.

بات الموريسكيون يمثلون "شريحة بشرية غير متجانسة مع الإطار العام الذي كان يسمى آنذاك بإسبانيا المسيحية؛ ولقد طفح عدم التجانس هذا في ظهور أقلية الموريسكيين بمظاهر حياتية تتناقض والإطار الاجتماعي الشامل، فشكلت بداخله ما يشبه البحيرة التي تنغلق على أسرارها وتتفاعل عناصرها فيما بينها، مستمدة منها حيويتها بفضل تعاضد أفرادها، فبرزت خصائصها ناطقة بمراسيم دينية إسلامية، وعلاقات اجتماعية تمارَس بلسان عربي، بالإضافة إلى انتماء إلى مخزون حضاري لم يعد لوجوده في الواقع أي إطار يمثله... بل صارت تعتمد على مخاض داخلي يتشبث في معظمه بوشائج لاشعورية ممثلة في انتماء لماضٍ مضى وتقلّص من بساط الواقع، وترك ما ترك من بين فضلاته هذه الأقلية تواجه

مصيراً كُتب عليه الصراع من أجل البقاء أو الاضمحلال."[٢]

سيطر الخوف على السكان حتى من أقرب الناس إليهم، إذ باتت الوشاية بمَن لا يلتزم قوانين التنصر سلعة مربحة تعبّىء جيوبهم من ناحية، وتريحهم من ناحية أُخرى، من خصوم يرغبون في التخلص منهم حتى لو كان بوشاية: إمّا لأنهم يمارسون الشعائر الإسلامية، أو يقرأون أو يقتنون كتاباً عربياً، أو يطبخون بزيت الزيتون بدلاً من شحم الخنزير، أو لا يشربون الخمر، أو يلبسون جلباباً عربياً، أو يتسمّون بأسمائهم العربية، أو يختتنون، أو يغنون بالطريقة العربية ويستمعون إلى الموسيقى العربية، والعجب العجاب لأنهم يستحمون!!! وغير ذلك كثير.

أراد فرناندو وإيزابيلا إسبانيا "طاهرة مطهّرة" من أي ديانة غير الكاثوليكية، ففرضا التنصر الإجباري (مدعومَين بموافقة البابا آنذاك)، وأصدرا سلسلة قوانين حاولا من خلالها إلغاء كل ما يمتّ إلى الهوية العربية المسلمة بصلة، لكن الإنسان على ما جُبل عليه من نزعة للمقاومة ومجابهة الظلم، يقدح زناد فكره ليجد لنفسه وعائلته ملاذاً من هذه القوانين، فتارة يرفضون دعوات الأكل في شهر رمضان بحجة أنهم أكلوا مسبقاً، وطوراً يستحمّون بحجة تنظيف البيت من دم الخنزير الذي كانوا يخزنون لحمه عندهم ليبيعوه لغيرهم؛ أمّا قراءة الكتب واقتناؤها ـ والأندلسي معروف بحبه للقراءة التي بسببها شعّت أنواره على ظلام أوروبا[٣] ـ فكانوا يحتجون بعدم معرفتهم للغة العربية، وأنهم إنما يستعملونها للفّ الأشياء أو إضرام النار، وسوى ذلك أمور أُخرى لو أعملنا خيالنا فيها لعرفنا من تفصيلاتها ما يشيب له الولدان.

ولا ننسى طبعاً الثورة التي أشعلها الأندلسيون في جبال البشارات (١٥٦٨ – ١٥٧١) بقيادة فرناندو دو فالور الذي استعاد اسمه السابق: محمد بن أمية، والتي قمعها التاج القشتالي بوحشية فائقة، مشتّتاً أعضاءها، وفارضاً مزيداً من القوانين الجائرة.

نصل إلى سنة ١٥٠٢، وهي السنة التي أُصدر فيها قانون ينصّ على حرق الكتب العربية والإسلامية، وبينها كثير من المصاحف وكتب الفقه والحديث والتفسير، وغيرها من الكتب الأدبية والفلسفية والفلكية والعلمية، باستثناء بعض الكتب ومنها كتب الطب التي أُفردت جانباً لترجمتها ونقلها إلى أوروبا، وذلك من أجل اجتثاث التاريخ الأندلسي العربي والإسلامي، واقتلاع الشعب الأندلسي من جذوره (من دون أن نغفل أن ظاهرة حرق الكتب كانت شائعة قبل قانون فرناندو وإيزابيلا، "ففي عهد 'أمراء الطوائف' أُحرقت كتب الإمام ابن حزم الظاهري، وفي عهد أمير دولة المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين أُحرقت كتب الإمام أبو حامد الغزالي، وخصوصاً كتابه 'إحياء علوم الدين'، وفي عهد أمير دولة الموحدين المنصور أُحرقت كتب القاضي ابن رشد"،[٤] ولا ننسى إحراق كتب لسان الدين بن الخطيب المعروف بذي الوزارتين، بتهمة الكفر والإلحاد والخروج عن الشرع).

ارتفعت النار تحرق الكتب في ساحة الرملة في غرناطة، لكن لهيبها ما لبث أن ازداد سعاراً، فبدأت بعد زمن تلتهم البشر أحياء، ناشرة صرخات الضحايا التعيسة التي دفعت حياتها: ثمناً لوشاية دنيئة من نفس

مريضة تبغي جاهاً، أو تسعى لإطفاء نار الحقد في داخلها؛ ثمناً للتمسّك بعقيدة نشأوا عليها، ذلك بأن الأغلب عند الأندلسيين "إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها وقيام العامة في ذلك، وإنكاره إن تهاون فيه أصحاب السلطان"؛[٥] ثمناً للإصرار على العيش وفق عادات عربية من أكل ولباس وكُنى وثقافة، وهي عادات مارسوها قروناً في ظل تلك الحضارة العربية الزاهية التي كانوا يتفيّئون في ظلالها بالعلوم والمعارف حتى إن أنوارها أعمت الغرب آنذاك.

وفي سنة ١٥٣٨ مثل خوان دو برغش (Juan de Burgos) أمام محكمة طليطلة لأنه نظم في بيته اجتماعات حيث أتوا إليه: "في الليل يعزفون على الآلات ويرتبون حفلة رقص ويأكلون الكسكسي." وقد أوخذ عليه وعلى مدعوّيه العيش وكأنهم على أرض إسلامية، والغناء بألحان عربية وباستعمال الأسماء الإسلامية: "كانوا يقومون بحفلات رقص، وحيث كانوا يرقصون ويغنون أغاني عربية ويتكلمون العربية، وكانوا ينادون على بعضهم البعض بأسمائهم التي أُعطيت إليهم عندما كانوا مسلمين، وكانوا يفتخرون بتلك الأسماء أكثر من افتخارهم بتلك التي أُعطيت لهم من طرف المسيحيين، ويُستنتج من هذا أنهم يقومون بكل ذلك ليحتفظوا بدين محمد."[٦]

هذه العادات التي لا علاقة لها بالإسلام، وإنما هي نتاج الرغبة الإنسانية في الترفيه عن الذات مستخدمة ما وصل إلى تلك البيئة من تلاقح الحضارات مع الحضارة العربية، كان لا بد من إلباسها لبوس الإسلام لتكتسب شرعية متوافقة مع قوانين التاج القشتالي الذي عمل جاهداً على استئصال كل ما يمتّ إلى العرب بصلة، بحجة الحفاظ على الدين المسيحي. ولهذا نرى أن أي تصرف نابع من تقاليد عربية بحتة كالجلوس على الأرض في أثناء الأكل،[٧] كان يُعدّ تمسكاً بالدين المحمدي، وارتداداً عن الدين المسيحي، وذلك انطلاقاً من عداوة ثقافية وحضارية أساساً لكل ما هو عربي، ولا سيما أن مسلمي إسبانيا بعد فرض التنصر عليهم ومنعهم من ممارسة شعائر دينهم قد بعُدت بهم الشقة عن الإسلام، فباتوا جهّالاً به، وخالطته في نفوسهم بدع وتخاريف كثيرة، ولا شك في أن الكنيسة آنذاك كانت تعلم هذا.

نعود إلى غرناطة، وإلى سليمة التي وقفت تستمع إلى الحكم الصادر بشأنها:

إنه في عام سبعة وعشرين وخمسمائة وألف من ميلاد المسيح، وفي اليوم الخامس عشر من شهر مايو [أيار]، وبحضورنا نحن: أنطونيو أجابيدا القاضي بديوان التحقيق، وألفونسو ماديرا المحقق، وميجيل أجيلار المحقق في الديوان العام، بدأ التحقيق فيما شاع ونما إلى علمنا من أن "جلوريا ألفاريز" واسمها القديم "سليمة بنت جعفر" تمارس السحر الأسود، وتحوز في بيتها ما يدعو إلى الشبهة من بذور ونباتات وتراكيب شيطانية، تستخدمها في إيذاء الناس.. ونثبت نحن المحققين ـ بعد القسم على الأناجيل الأربعة ـ بأن سليمة بنت جعفر صارت

مسيحية، وغيّرت اسم أمها، من "أم حسن" إلى "ماريا بلانكا"، وعُمّد زوجها سعد المالقي باسم "كارلوس مانويل"، أمّا ابنتها "عائشة" فصارت "بيرانزا". ودوهم بيت سليمة، وتم الاستيلاء على كتبها ومعملها، وسُئلت سليمة: هل تؤمنين بالشيطان؟ فردت: "لا أعتقد أن للشيطان وجوداً، وكل ما يحدث للناس مردّه الجسد أو العقل." وعلّق القاضي الكاثوليكي بقوله: "إن تهمة إنكار الشيطان ـ وحدها ـ كافية لحرقها بعد تعذيبها لشفاء روحها." ثم عاد القاضي فسألها: "هل تسري في الليل عبر المسافات على ظهر دابة؟" فكان جوابها: "أنا لم أسمع أن بشراً حدث له ذلك سوى محمد نبي المسلمين." فسألها القاضي: "هل حدث ذلك فعلاً؟" فقالت: "لقد تعمّدتُ وصرت نصرانية." فقال القاضي ـ موجّهاً الحديث للحضور ـ "لقد تعمّدَتْ لكنها لم تتخلّ عن دينها المحمدي"، ثم نطق القاضي بالحكم: "اجتمع المجلس الموقر من علماء اللاهوت والناطقين باسم الكنيسة الكاثوليكية، وبعد المناقشات والمداولات، توصلنا إلى أنك المدعوة 'جلوريا ألفاريز'.. توصلنا إلى أنك كافرة، وحكمنا عليك بالتعذيب للتطهير ثم الحرق." وعُرّيت سليمة وجرى بهدلة ثدييها ـ "البهدلة" هي دائرة ارتكاز الثدي على الصدر "عند الرجال والنساء"، وصارت "البهدلة" تعني تعليق المتهم من ساقيه، ثم قطع ثدييه "رجلاً كان أو امرأة"، ثم تُشعَل النيران أسفل منه، فيموت غريقاً بدمه، حريقاً بالنار... ـ وهي معلقة من رجليها، وسال دمها، وأُشعلت الأخشاب والحطب أسفل منها وأُحرقت.[٨]

هي حفيدة أبو جعفر الورّاق الغرناطي الذي اشتُهر بصنعته تلك، فبات من أعلامها؛ هي ابنة ذلك البيت الذي يختزن في جنباته رائحة الحبر والورق والجلود وأقلام الزخرفة الذهبية، فنشأت تعشق القراءة، وبات الكتاب أقرب إليها من نفسها. عشقت الحروف وتفتّحت دهشتها عندما وجدتها تشكّل جملاً ذات معنى، فانغمست في طيات الكتب تقرأ ويستزيدها عقلها معرفة، حتى باتت خبيرة بطب الأعشاب، تطبّب الناس وتحاول معرفة عللهم ومداواة أوجاعهم.

ولا شك في أن سليمة أصابت نجاحاً في هذه المهنة، الأمر الذي أوغر صدور حسّادها، فوشوا بها إلى السلطات التي ألقت القبض عليها وأخضعتها للتحقيق، وكان ما كان.

امرأة أُخرى من كوينكا وُشي بها لارتكابها جرماً كبيراً استوجب معاقبتها بالحرق:

يحتوي محضر إحدى الجواري الغرناطيات لدى المركيزة كانييتي على بلاغ من جارية أُخرى أُدرج في اتهام ممثل الادعاء بنفس الألفاظ:

"ذات يوم... كان يوم عمل، وبعد تناول الغداء عصراً، رأت هذه الشاهدةُ ماريا دي مندوثا هذه [أي المتهمة]، تصعد بفنطاس [وعاء] ماء من بئر ببستان المركيزة المذكورة إلى أعلى مكان بالمنزل حيث يوجد مستوقد، ويبدو لها أنهم أعدوا في ذلك اليوم

أطعمة محفوظة، وبقيت جذوة النار مشتعلة. وبعدها رأتها تصعد بفنطاس الماء هذا، وبعد ساعة تقريباً، صعدت هذه الشاهدة إلى أعلى حيث المستوقد، فوجدت باب الحجرة مغلقاً، ففتحته وأطلت برأسها ورأت المدعوة ماريا عارية الجسد كما ولدتها أمها، ولا تنتعل حذاء كما لو كانت في صيف يونيو [حزيران] أو يوليو [تموز] وهي...

تجلس القرفصاء وتغسل شعرها.[٩]

هذا الجرم يُعتبر من أهم ما ارتكزت عليه الحضارة العربية الإسلامية الأندلسية التي رأت في الماء، كما جاء في القرآن: "وجعلنا من الماء كل شيء حي" (سورة الأنبياء، الآية ٣٠). فالماء للمسلم هو أساس وضوئه، وإذا نظرنا أو قرأنا عن حضارة الأندلس، فإن أول ما يلفتنا هو اعتناء الأندلسيين بجرّ المياه إلى البيوت، أولاً للوضوء، وثانياً للمحافظة على نظافة منازلهم، وثالثاً من أجل الزرع والورد، فالأندلسي عاشق للنظافة والزهر والزرع، وحسبنا آثارهم التي تنمّ عن مدى حبهم للطبيعة وللزهور، كقصر الحمراء وجنّات العريف مثلاً.

يقول المقّري في كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب":

وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك ممّا يتعلق بهم، وفيهم مَن لا يكون عنده إلاّ ما يقوته يومه، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعةً على حالة تنبو العين منها.[١٠]

هذه الحضارة العربية تركت أثراً راسخاً في نفوس معاصريها، "وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربي لأنهم إمّا عرب، أو متعربون"،[١١] وبات الافتخار بكونهم أندلسيين عرباً شرفاً يجاهرون به تحت وطأة المراقبة والقوانين المفروضة عليهم، والتي تحرّم عليهم حتى التلفظ بكلمة "عربي" التي استحالت سبّة لهم وتشهيراً بهم يُفرَدون بسببها في مجتمعهم كبعير أجرب، فيساقون إلى التحقيق ويعاقبون بالسجن وبمصادرة الأموال، وبحرمانهم من حقوقهم المدنية، بل حتى بالموت.

...إيزابيل أمة دونا أنّا دو فيغوروا (Ana de Figueroa) "لم تتماسك عن القول عندما شتمها أحد الأفراد بقوله: 'كلبة العرب'، وقد ردت عليه: 'نعم أنا عربية، ذلك أن أبي وأمي كانا وماتا عربيين، وأنا أيضاً عربية، وسأموت عربية'."[١٢]

لم يقتصر الأمر على المجاهرة بالنسب العربي، والذي قد يكون من أسبابه الغضبُ الذي يدفع الإنسان أحياناً إلى قول أشياء ربما لا يكون يعنيها، بل تعدّاه إلى الحنين إلى ذاك الزمان الذي غبر، حين كانت الهوية عربية، واللسان عربياً، والحرية عربية أيضاً.

يذكر المؤرخ لوي كارديناك أن أندرس لوبيز (Andrés Lopez) وهو أحد موريسكيي يابس (Yepes)، وكان في جمع من "الأصدقاء"، قام بتذكّر "حوادث بلاده غرناطة والسنوات التي قضاها بها، وحرب البشارات الأخيرة، وقد ختم كلامه 'معبّراً عن أمله في استرجاع هويته العربية قبل أن يموت'."[١٣]

أمّا لورنزو لوبيز، فكان "'نظراً لصفته

العربية، ثار ضد المسيحيين الكاثوليكيين، بالتعاون مع عدد كبير من الموريسكيين، وقد بقي مع هؤلاء في الجبال أين نفترض ممارسته لعديد التقاليد والحفلات الإسلامية مع بقية العرب.' وقد تعرّض نتيجة ذلك للاضطهاد المستمر... 'وقد أطلق عليه بعض المسيحيين [لقب] عربي، وعليه وجب حرقه... وعندما أراد أن يشرب في أحد الفنادق، مُنع من ذلك بحجة أنه عربي.' وقد انتهى أمره أن يتذكر ذلك، وعندما رجمه جلادوه حجارة، صاح من الألم الشديد، قائلاً: 'إني فعلاً عربي حتى نخاع العظام'."[١٤]

هذه الأحداث كثيرة جداً، وكل واحد منها شاهد عيان على ما كان يمارَس ضد الأندلسيين، زوراً وبهتاناً من ناحية، أو قمعاً لعادات تأصلت لديهم من ناحية ثانية، أو انتقاماً منهم لأنهم أبناء تلك الحضارة العربية التي شرُفت وزهت حتى باتت في مرحلة من مراحلها قِبلة الغرب الذي كان يشد رحاله إليها لينهل من معارفها.

يئست السلطات القشتالية من جعل إسبانيا "نظيفة" من العرب الأندلسيين، حتى إن نواب الكورتيس (مجلس النواب في البرلمان الإسباني) كثيراً ما اشتكوا لمليكهم من المخاطر التي يمثلها الموريسكيون على المجتمع الإسباني المسيحي، وخصوصاً موريسكيي غرناطة: "فأثناء الاجتماعات التي تتم في مدريد تحت إشراف فيليب الثاني سنة ١٥٩٢ وفي السنوات التي تليها، كان هناك عدد كبير من النواب قد عرضوا على الملك الأخطار التي يمثلها الموريسكيون للمملكة، ويتأسفون أنه خلال عشرين سنة لم نقدر على حل هذا المشكل: 'ففي أثناء الاجتماعات الأخيرة، رجونا من سموّكم السعي للعثور على علاج شامل للمرض الحالي والمستقبلي الذي يمثله هذا العدد الكبير من موريسكيي مملكة غرناطة، وأنه حتى يومنا هذا لم نعالج الموضوع، وأن الوضعية ما فتئت تستفحل'."[١٥]

استفحال هذا "الخطر" جعل فيليب الثالث يُصدر في سنة ١٦٠٩ قراراً بشعاً كبشاعة حقدهم على الحضارة الأندلسية، نُصّ فيه على طرد الموريسكيين من إسبانيا نهائياً، وقد مُنحوا مهلة ثلاثة أيام للتجهّز للرحيل، فغصّت بهم الطرقات، واشتد إقبالهم على السفن والبواخر التي ستقلّهم من السواحل الإسبانية إلى العُدْوة المغربية وغيرها من البلاد.

وقد "ظهرت وثيقة بتاريخ السابع من أكتوبر تشرين الأول عام ١٥٨٧ للميلاد لا تزال محفوظة بالأرشيف الوطني الإسباني، وهي عبارة عن خطاب موجّه من الملك فيليب الثاني إلى كبير أساقفة بلنسية، يتساءل فيه فيليب الثاني عن الإجراءات المتخذة لتعزيز تعاليم المسيحية لموريسكيي بلنسية. تكشف الوثيقة أن فيليب الثاني كان يفضّل دمج الموريسكيين في إسبانيا، لكن ابنه فيليب الثالث هو الذي استسلم تحت ضغوط الكنيسة وبعض النبلاء، وأرغم الموريسكيين على مغادرة الأراضي الإسبانية نهائياً."[١٦]

سُمح للأندلسيين خلال تلك المهلة القصيرة بحمل ما يستطيعون حمله فقط، على أن يتركوا وراءهم دورهم وأملاكهم كلها التي ستصادرها الدولة، وكذلك أولادهم دون الرابعة عشرة، وبناتهم دون الثانية عشرة، لعائلات قشتالية تنشئهم تنشئة كاثوليكية.

"تعرض الموريسكيون لأهوال كثيرة حتى

قبل أن يغادروا بيوتهم، فكان النصارى يهجمون عليهم في بيوتهم لسرقة ممتلكاتهم وقتلهم في حالات كثيرة. وفي أثناء الترحيل إلى الموانىء تعرضوا إلى السرقة والاختطاف، حتى من جانب الجنود المرافقين لهم. وكانت المآسي الأكبر في انتظارهم على السفن التي تآمر عليهم بحارتها في حالات كثيرة، فسرقوا ممتلكاتهم واغتصبوا نساءهم، وألقوا بهم في البحر أو باعوهم عبيداً أو ألقوا بهم على شواطىء معزولة."[١٧]

حمل الأندلسيون مفاتيح بيوتهم، ويمّموا شطر أماكن أُخرى جديدة عليهم، مولّين وجوههم نحوها، وتاركين قلوبهم في تلك الديار التي ما عرفوا غيرها.

في المساءِ الأخيرِ على هذه الأرض نقطعُ أيامَنا
عن شجيراتِنا، ونَعُدُّ الضلوعَ التي سوف نحملُها معنا
والضلوعَ التي سوف نتركُها ههنا... في المساءِ الأخيرْ
لا نودِّعُ شيئاً، ولا نجدُ الوقتَ كي ننتهي...[١٨] ■

المصادر

١ الموريسكيون لقب شاع استعماله بعد سقوط غرناطة، وأُطلق على المسلمين واليهود الذين ظلوا في إسبانيا تحت الحكم المسيحي، وأُجبروا على التنصّر، أو سُمح لهم بالهجرة التي حدثت بدرجات متفاوتة من منطقة إلى أُخرى، أو إلى خارج البلد نهائياً، قبل أن يصدر قرار ترحيلهم كلياً في سنة ١٦٠٩. وفُرض على الذين اختاروا اعتناق الدين المسيحي اعتماد أسماء مسيحية جديدة، في خطوة أولى لاجتثاث هويتهم العربية، بدءاً بتغيير أسمائهم، وصولاً إلى منعهم تحت طائلة العقوبة من استخدام اللغة العربية.

وقبل شيوع لقب الموريسكيين كان قد شاع لقب آخر هو المدجنون، وأُطلق على المسلمين واليهود الذين لم يتنصّروا وبقوا في شبه الجزيرة الإيبيرية (كطليطلة وبلنسية) قبل سقوط غرناطة، غير أنهم أُجبروا على التنصر بعد سقوط غرناطة، ونالهم من الحيف والظلم ما نال مسلمي غرناطة ويهودها.

٢ انظر: عبد الله حمادي، "الموركسيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، 1492 – 1616" (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب؛ تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٩)، ص ٩ – ١٠.

٣ يقول المقّري: "وأما حال أهل الأندلس في فنون العلوم فتحقيقُ الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز... بل يقرأون جميع العلوم... فالعالِم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه، وينفق من عنده حتى يعلم، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء."

انظر: أحمد بن محمد المقّري التلمساني، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، ٧ أجزاء، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٦٨)، الجزء الأول، ص ٢٢٠ – ٢٢١.

٤ انظر: رامي زيدان، "محارق الكتب"، موقع "النهار" الإلكتروني، ١١ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤، في الرابط التالي: https://newspsper.annahar.com/article/98436

٥ المقّري، مصدر سبق ذكره، الجزء الأول، ص ٢٢٠.

٦ انظر: لوي كارداك، "الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون: المجابهة الجدلية (١٤٩٢ – ١٦٤٠) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا"، ترجمة عبد الجليل التميمي (تونس: ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر، والمجلة التاريخية المغربية، ١٩٨٣)، ص ٣٥.

٧ "إن أقل الحوادث والحركات التي لا تمتّ بصلة إلى تقاليد وعادات المجموعة المسيحية قد فُسّرت كعلامة على اتّباع الدين الإسلامي، ومن شأنها أن تكون سبباً لمزيد من التحريات، وهذا كالجلوس على الأرض بدل الكرسي. ومن هنا كان قرار اتهام خوان دو فلوريس (Juan de Flores) بطليطلة الذي أشار إلى أنه متّبع لدين محمد بسبب الإيمان الذي أظهره، وعادته لا يجلس على كرسي ولا يتناول أكلاته على مائدة، وهو بهذا يحافظ على تقاليد دين محمد." انظر: المصدر نفسه، ص ٢٦.

٨ وثيقة من وثائق محكمة التفتيش في إسبانيا لا تزال محفوظة في مكتبة الإسكوريال في مدريد. انظر: صالح إبراهيم عوض، "الشهيدة الأندلسية سليمة بنت جعفر رحمها الله"، موقع "ملتقى أهل الحديث" الإلكتروني، في الرابط التالي: https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=360518

٩ انظر: مرثيديس غارثيا ـ أرينال، "محاكم التفتيش والموريسكيون: محاضر محكمة كوينكا"، ترجمة خالد عباس، مراجعة وتقديم جمال عبد الرحمن (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٧).

١٠ المقري، مصدر سبق ذكره، الجزء الأول، ص ٢٢٣.

١١ المصدر نفسه، ص ١٢٥.

١٢ كارداك، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣.

١٣ المصدر نفسه.

١٤ المصدر نفسه، ص ٣٠.

١٥ المصدر نفسه.

١٦ انظر: خالد بن الشريف، "هكذا طُرد الأندلسيون: القصة الكاملة لطرد أهل الأندلس من ديارهم"، موقع "ساسة بوست" الإلكتروني، في الرابط التالي:
https://www.sasapost.com/the-full-story-of-the-expulsion-of-the-people-of-andalusia/

١٧ ماثيو كار، ""الدين والدم: إبادة شعب الأندلس"، ترجمة مصطفى قاسم، مراجعة أحمد خريس (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة/كلمة، ٢٠١٣)، ص ٢٩.

١٨ محمود درويش، "أحد عشر كوكباً على آخر المشهد الأندلسي" (بيروت: دار العودة، ط ٤، ١٩٩٣)، ص ٧.